Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 1, 2024

Deanship of Scientific Research

Narrative Construction between the Arabic and Chinese Novel: Naguib Mahfouz and Ba Jin as two examples

Yousef Saleh Khataybeh*

Department of Asian Languages, School of Foreign Languages, the University of Jordan, Amman, Jordan.

Received: 16/10/2022
Revised: 10/1/2022
Accepted: 9/04/2023
Published: 30/1/2024

* *Corresponding author:*
y.khataybeh@ju.edu.jo

Citation: Khataybeh, Y. S. (2024). Narrative Construction between the Arabic and Chinese Novel: Naguib Mahfouz and Ba Jin as two examples. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(1), 295–304. https://doi.org/10.35516/hum.v51i1.2470

Abstract

Objectives: This study aimed to clarify the connections and the relationships between the Arabic novel and the Chinese novel. It also intended to show the novelistic artistry in the trilogies of Naguib Mahfouz and Ba Jin and compares the ways through which they address tradition, life, and society—especially family life—in their trilogies.

Methods: The research attempted to answer the following questions: What are the connections and relationships between Arabic and Chinese literatures? How can studying the two trilogies by Naguib Mahfouz and Ba Jin help study the two literary traditions? The researcher employed the comparative in addition to the analytical-descriptive approaches to reach accurate results about the two trilogies through examining the narrative structures of the two works and the topics that they address.

Results: This study uncovered the intellectual and artistic components in the works of each of them and showed the relationship between Chinese and Arabic literature. Additionally, it pointed to the daily living realities, be it in Egypt or China. The study concluded that Naguib Mahfouz and Ba Jin are similar in their narrative structure and that the two writers expressed their perspectives on tradition as well as the social and economic circumstances of their respective societies, shedding light on the effect of colonization on the two countries.

Conclusions: Both writers, each advocating for their respective countries and causes, produced literary works that gained psychological interest due to their experiences under colonialism. Additionally, both explored the clash between ancient and contemporary values in their writings.

Keywords: Ba Jin, Naguib Mahfouz, comparison, narrative structure, the Arabic novel, the Chinese novel.

البناء الروائي بين الرواية العربية والصينية: نجيب محفوظ وبا جين نموذجين

يوسف صالح خطايبة*

قسم اللغات الآسيوية، كلية اللغات الأجنبية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى بيان الروابط والعلاقات بين الرواية العربية والرواية الصينية وإلى إظهار فنّ الرواية في ثلاثية كل من نجيب محفوظ وبا جين ومقارنة كيفية تناول كل منهما الموروث والحياة والمجتمع وبخاصة الحياة الأسرية.

المنهجية: يحاول البحث في هذا الإطار أن يجيب عن إشكالية محددة تتمثل في: ما حقيقة الروابط والعلاقات بين الأدبين العربي والصيني؟ وكيف يمكن تحديدها انطلاقًا من دراسة الثلاثية الروائية لكل من نجيب محفوظ وبا جين؟ واستخدم الباحث المنهج المقارن، إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائج دقيقة في عملية المقارنة من خلال التدقيق في البناء الروائي لكل منهما والموضوعات التي تناولاهما.

النتائج: كشفت الدراسة عن المكوّنات الفكرية والفنية في أعمال كل منهما، كما أظهرت العلاقة بين الأدبين الصيني والعربي، والقضايا التي عكستها الروايات لحقيقة الوضع المعيشي، سواء كان في الصين أم في مصر. وتوصلت الدراسة إلى أن هنالك تشابهًا بين الأديبين في البناء الروائي، وأنهما عبّرا عن الموروث والظروف الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعهما، ملقين الضّوء على أثر الاستعمار في البلدين.

الخلاصة: كتب كل من الأديبين لبلده وقضيته، إلا أن أديبهما تقاطعا من حيث البناء النفسي نتيجة الظروف التي عاشها كل منهما في ظل الاستعمار. كما كتب كل منهما عن الصراع بين القيم القديمة والقيم المعاصرة.

الكلمات الدالة: با جين، نجيب محفوظ، مقارنة، البناء الروائي، الرواية العربية، الرواية الصينية.

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة

يعد الأديب الصيني باجين من أعمدة الأدب الصيني، ولد **عام** 1904م، وهو كاتب ومترجم وناشط، كَتَبَ **في السيرة** الذاتية، وكَتَب للأطفال. وُلِدَ في الصين في مدينة (تشنغدو)، وتوفي في (شنغهاي) **عام** 2005م بسبب مرض باركنسون (بياري، باجين، الموسوعة العربية، 2005). وكان عضوًا في اللجنة الوطنية لجمهورية الصين الشعبية، وعضوًا في مجلس الشعب الصيني.

تعلم في جامعة (سيتشوان) وتأثر بمجموعة كبيرة من الأدباء العالميين أمثال: إيفان تورغينيف، وكروبوتكين، وأنطون تشيخوف، وإميل زولا، وأيما جولد مان، وألكسندر هيرزن، وتساو شيويه، وغيرهم. حصل على عدة جوائز، منها وسام جوقة الشرق من رتبة قائد، وترتيب الصداقة بين الشعوب. وهو من أكثر الأدباء الصينيين تأثيرًا منذ حركة الثقافة الجديدة (4 مايو)، ومن أهم أعماله: ثلاثية التيار الجارف: (العائلة، الربيع، الخريف)، وهي من بين أفضل الأعمال الأدبية الصينية المعاصرة، **ولها مكانة مميزة في تاريخ الأدب الصيني المعاصر**، كما كتب كثيرًا من الأعمال النثرية وأجرى ترجمات عديدة. (بياري، باجين، الموسوعة العربية، 2005).

ولد في مدينة (تشنغدو) عاصمة (سيشوان)، واسمه الحقيقي (لي ياو تانغ)، وعُرف أيضًا باسم (لي فيغان)، وهذا الاسم المركب من (با) و(جين) اتخذه الكاتب من اسمي الكاتبين الروسيين (باكونين) و(كروبوتكين)، إعجابًا بهما، أما لفظة (جين) فهي الكتابة النطقية الصوتية الصينية للفظة (كين).

ولد (باجين) في أسرة ميسورة الحال، مثقفة ومحافظة، وفَقَد والديه الواحد تلو الآخر في سن مبكرة، مما جعل طفولته حزينة. تلقى علومه في طفولته على يد أستاذ خاص وتأثر في صباه بمفهوم الاشتراكية الذي بدأ ينتشر في الصين، وتأثر بحركة (4 أيار 1919م) التي أكدت دور الشباب وتخلت عن منهج (كونفوشيوس)، وتعد هذه الحركة نواة الشيوعية في الصين (بياري، 2005).

وفي عام (1920م) انتسب (باجين) إلى مدرسة (سيشوان) للغات الأجنبية لدراسة **الإنجليزية**، وفي الوقت نفسه عمل محررا في عدد من المجلات، مثل: المجلة النصف شهرية، وواظب على قراءة أعمال كبار الأدباء، وخاصة الكتّاب الروس، مثل: كرو بو تكين، وكتابه (نداء إلى الشباب) المنشور عام (1932م)،(بياري، 2005، ص4).

تابع دراسته في مدينة (نانجين) ثم في (شنغهاي)، واتضحت أفكاره ومعتقداته مع حركة (30 مايو عام 1925م) المناهضة للإمبريالية، ثم سافر إلى فرنسا عام 1927م **وتأثر** بالكتّاب الفرنسيين، أمثال: جان جاك وزولا وهوغو.

وفي المدة الأخيرة في فرنسا كتب روايتين: (الإبادة) ونشرها عام 1929م في مجلة في الصين، وبعد عودته إلى الصين صدم بانتحار أخيه لأسباب اجتماعية، وهو ما دفعه إلى التعبير عن المأساة التي يعيشها جيل الشباب؛ نتيجة الصراع بين القيم الجديدة والقديمة، وقد تجلى هذا الصراع في كتاباته النثرية ومنها الأقاصيص التي كتبها ما بين عامي 1931-1932م، ونشرها في ثلاث مجموعات (الكرسي الكهربائي، الضوء، الانتقام). (بياري، 2005، ص4).

وفي العام 1934م هرب **إلى** اليابان نتيجة النقد اللاذع الذي وُجّه **إليه** بسبب أسلوبه في وصف شباب الثورة، **إضافة إلى** الرقابة القاسية التي فرضها حزب الثورة الذي أسسه (صن يان صن) عام 1911م، وصار فيما بعد حزب الصين الوطنية، فكتب هناك مجموعة من المقالات أسماها (آلهة وشياطين ورجال) وزادت مشاكله مع الشرطة اليابانية دون أن يذكر هويته الحقيقية. ثم عاد إلى (شنغهاي)، وأصبح رئيس تحرير منشورات (الحياة الثقافية)، واستمر في كتابة رواياته، فكتب رواية (أسرة قاو) عام 1933م وضمّنها قسمًا من سيرته الذاتية، وقد حولها المخرج (كاد يو) إلى مسرحية وإلى فلمٍ سنيمائي، وصارت هذه الرواية جزءًا من ثلاثيته الثانية (العائلة) من الجزء الثاني (الربيع) والجزء الثالث (الخريف) عام 1940م، حيث يتابع فيها قصة (أسرة قاو)، وسلطة الأب فيها، ومشاكل الإخوة الثلاثة (يونس، 2006، ص5).

وعند اندلاع الحرب الصينية اليابانية عام 1937م أصدر (ماو دون) وكتّاب تقدميون آخرون عدة مجلات، منها (صرخة)، وقد أجبرته الحرب على الانتقال من مدينة **إلى** أخرى، ولكن ذلك لم يحل دون ممارسة نشاطه الأدبي، والكتابة والترجمة مثل: ترجمة رواية (آباء وبنون) لـ(تورغينيف)، وقد أقام (باجين) في (جيلين) من عام 1941م إلى 1943م، حيث كتب ثلاثيته (النار)، وانتُخِب عام 1954م لمجلس الشعب الوطني، ولكنه عانى العذاب النفسي والجسدي إبان الثورة الثقافية، و(عصابة الأربعة) برئاسة زوجة الزعيم الصيني (ماو تسي تونغ)، وبعد سقوطها انتخب نائبًا للدورة الخامسة لمجلس الشعب الوطني، وصار نائبًا **لرئيس اتحاد الكتّاب** في شنغهاي (يونس، 2006، ص5).

لقد أكد (باجين) أن همّه الأول هو الإنسان، وأن هدف الأدب الرئيسي هو فهم العالم والعمل على تطويره، وتميّزت رواياته بمزج فن الرواية بتقنيات الرواية الغربية ليقدم أدبًا عصريًّا واقعيًّا بعيدًا عن الأساطير التي هيمنت على الأدب الصيني الاتباعي، وقد سئل يومًا لماذا تكتب؟ فأجاب: أمارس الأدب لكي أغيّر حياتي وبيئتي وعالمي الفكري.

ويرى المثقفون الصينيون من دارسي اللغة العربية في هذا الأديب (نجيب محفوظ) الصين، وهو بحق يقترب في ملامحة الروائية من (نجيب محفوظ)، ويعهد في رواياته التي تناول شرائح المجتمع الصيني بطبقاته المختلفة، فيسبر غورها، ويكشف عما فيها من سلبيات وإيجابيات بأسلوب الناقد الكبير.

إذن، (باجين) يعد علامة متميزة في منظومة الأدب الصيني الحديث، وأيقونة لها خصوصيتها **الإبداعية** المتوهجة، حيث تشكلت ملامح أدبه من أصالة الأدب الصيني الكلاسيكي القديم الذي يحمل إرث الأجداد وتوهج حكمتهم وفلسفتهم مع الانفتاح على الأدب الغربي، الذي تحول (باجين) معه إلى فن الرواية

التي أصبحت كلَّ حياته وشغلَه الشاغل طوال حياته، وفي ذلك يقول: "مارست الكتابة لأكثر من خمسين عامًا، ومع ذلك فأنا لا أعدّ نفسي في مصاف الكتّاب، ولكل امرئ سبيل يسلكه ليفضي به إلى الاشتغال بالأدب، ولقد كنت أحب قراءة القصص منذ حداثتي حتى أنها كانت تصرفني أحيانًا عن الطعام والمنام، وما كنت أطالع لأتعلم، بل طلبًا للمتعة، ولم تكن لي موهبة الأدب يومًا، بيد أني وجدت سبيلي إلى التعبير يوم غدوت روائيًّا (باجين، 1982، ص4).

ويعدّ (باجين) من ثلاثة روائيين عظام أنجبتهم الصين، وكان لهم الدور الكبير في مجال الفنّ الروائي والقصصي، داخل الصين وخارجها، وهم (لو شون، باجين، ولاو شي)، كما شكّل حصول الأدب الصيني على جائزة نوبل للروائي (مو يان) رافدًا مهمًّا من روافد **الإبداع** الروائي الصيني، الذي كتب في الخفاء بعيدًا عن أعين الرقباء، وعبّر بصدق عن واقع الحياة الصينية، التي كان القمع والخوف يغلّفها، شأنه في ذلك شأن كثير من الأدباء والروائيين الذين كانوا يبحثون بصدق عن ذواتهم وعن مدينتهم الفاضلة بعيدًا عن مظاهر القمع والظلم.

أما (نجيب محفوظ) الكاتب الروائي المصري الذي يعد أول أديب عربي حاز على جائزة نوبل للآداب، فقد بدأ كتاباته في الثلاثينيات، واستمر حتى العام 2004م، وتدور جميع أحداث رواياته في مصر، وتظهر فيها سمة متكررة هي (الحارة) التي كانت تعادل العالم عنده، ولد في 1911/12/11م، في مصر القديمة، وتوفي في 2006/8/30م في مدينة القاهرة الجديدة (وادي، 1998، ص24).

وهو مؤلف وكاتب وروائي غزير الإنتاج، له العديد من الروايات المشهورة والمترجمة إلى عدة لغات، وهو العربي الوحيد الذي نال جائزة نوبل للآداب واستحق بكل جدارة أن يكون أهم الأدباء العرب خلال القرن العشرين. ألّف محفوظ على مدار حياته كثيرًا من الأعمال الأدبية، وفي مقدمتها ثلاثيته الشهيرة (أولاد حارتنا) التي تدور معظم أحداثها في الحارة المصرية الشعبية، ورغم واقعية أدب (نجيب محفوظ) تناول قضايا وجودية أيضًا، برز اهتمامه بالأدب منذ مرحلة مبكرة من حياته.

شهد (نجيب محفوظ) ثورة عام 1919م وكان عمره سبعة أعوام، وكان لهذه الثورة تأثير كبير على مسيرته الأدبية، حيث خاض تجربته الأولى من المشاعر الوطنية والقومية، كما كان التأثير واضحًا بعمق في كتاباته، وبعد الانتهاء من دراسته في الكتّاب، التحق بالجامعة المصرية في عام 1930م، وحصل على شهادة في الفلسفة في عام 1934م ثم التحق بدراسة الماجستير، وتخصص في الفلسفة، ولكنه توقف بعدها بعام، وذلك بهدف احتراف الكتابة والتأليف. توظف بعد تخرجه في إحدى الهيئات الحكومية عام 1934م، واستمر حتى تقاعده في عام 1971م. بدأ عمله موظفًا إداريًّا في جريدة القاهرة، وكاتبًا صحفيًّا مع جريدة الرسالة، وخلال هذا الوقت نشر بعض القصص القصيرة لصحيفة الأهرام والهلال، وفي عام 1938م تمّ تعيينه سكرتيرًا لوزير الأوقاف الإسلامية، وفي العام التالي نشر (نجيب محفوظ) رواية (خان الخليلي) عام 1945م (مبارك، 1966، ص10).

ومثلت أغلب الموضوعات التي يستعرضها الاشتراكية، والمثلية الجنسية، والقضايا الفلسفية والنفسية، وفي الخمسينيات نشر ثلاثيته المشهورة، وهي ثلاث روايات تقوم بتصوير حياة ثلاثة أجيال بالقاهرة، ابتداءً من الحرب العالمية الأولى حتى الانقلاب العسكري الذي وقع عام 1952م. كتب العديد من الروايات، مثل رواية (بين القصرين) عام 1956م، و(قصر الشوق) و(السكرية) عام 1957م، وفي العام 1959م نشر رواية (أولاد حارتنا) التي حُظرت في مصر في وقت لاحق بسبب محتواها المثير للجدل؛ وذلك لاستخدامه أسماء الأنبياء الدينية، والخوض في الدّين، وتسببت تلك الرواية في إشعال كثير من الغضب بين الطوائف الدينية، حتى أن (نجيب محفوظ) تلقى تهديدات بالقتل (العشماوي، 2005، ص28).

وبين عامي 1940-1980م تحول ما يقرب من 25 بالمئة من أعماله الأدبية إلى سيناريوهات سينمائية، وحصل من خلالها على مجموعة من الجوائز المهمة، مثل: جائزة نوبل عام 1988م، والوسام الرئاسي من الجامعة الأمريكية عام 1989م، وشهادة الدكتوراة الفخرية من الجامعة ذاتها، وفي العام 1992م جرى تكريمه عضوًا فخريًّا في الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب، وفي العام 2002م انتخب عضوًا فيها، وله كثير من القصص مثل: (همس الجنون) و(خمارة القط الأسود) و(تحت المظلّة)، و(شهر العسل)، و(المرايا)، و(الكرنك)، و(الحرافيش). والحقيقة أن هناك تشابهًا بين مصر والصين، وتعد كلتاهما ذات حضارة عريقة، وقد أنجب نهر النيل والنهر الأصفر أمتين عظيمتين، وتعرض البلدان كلاهما إلى اضطهاد الاستعمار والإقطاع، وناضل الشعبان المصري والصيني في سبيل الاستقلال ونيل الحرية، كما أن تأسيس الجمهورية في كلا البلدين كان في فترة متقاربة: الصين عام 1949م، ومصر عام 1952م.

فالكاتبان (نجيب محفوظ) و(باجين) ثمرتان طبيعيتان للأمتين العظيمتين، كما عاشا في العصر ذاته تقريبًا، ومرَّا بظروف حياة متشابهة، ولهما رأي مشترك في حياة البشرية، وفي الوقت عينه أبدع كل منهما ثلاثيته التي تمثّل قمة الأدب الحديث لكل من بلديهما.

أهمية الترجمة في وصول الأدب العربي إلى الصين

بعد التطور الذي حصل في البلدان العربية، وخاصة في مصر ولبنان وسوريا والعراق ودول المغرب العربي في العصر الحديث، ومع ازدهار الأدب وتطوره ونيل (نجيب محفوظ) جائزة نوبل للآداب، أصبح الأدب العربي -بلا شك- جزءًا مهمًّا في الأدب العالمي، وعندما نتأمل تاريخ التبادل الأدبي بين الصين والعرب، نكتشف أن الصين قد ترجمت، وقدّمت وبحثت في الأدب العربي في فترات زمنية مختلفة، بعد تأسيس الصين الجديدة بسبب الروابط السياسية والاقتصادية والدبلوماسية الوثيقة بين الطرفين، وتطورت التبادلات الثقافية والأدبية لتصل ذروتها بعد الإصلاح والانفتاح نحو تأسيس الصين الجديدة.

فبعد الإصلاح والانفتاح تطور تعليم اللغة العربية في الصين بسرعة شديدة، وأقبل عدد كبير من أساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين ومحبي الأدب العربي على ترجمة الأدب العربي ترجمةً مباشرة بعد أن كانت ترجمة النصوص العربية تعتمد في معظمها على الروسية والإنجليزية.

وقد بدأت هذه الترجمات في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، فترجمت أعمال الكاتب اللبناني (جبران خليل جبران) وأعمال لـ(طه حسين)، و(محمود تيمور) و(جورج حنا)، و(توفيق الحكيم)، و(نجيب محفوظ)، وغيرهم من الكتاب والأدباء، ولا ننسى أن موسوعة (تاريخ التبادلات الأدبية الصينية العربية) أرّخت لحركة التبادل الثقافي بين الدول العربية والصين، ورصدت رحلات هذه التبادلات. لقد تمتعت الأمتان العربية والصينية بتاريخ طويل وتراث ثقافي عميق في العالم، كما أن للثقافتين دلالات أيدولوجية غنية وحيوية دائمة، وقد أرسى التفاعل بين الثقافتين العريقتين تفاعلًا ثقافيًا وتكاملًا اقتصاديًا تمثل في طريق الحرير البري والبحري.

لقد كان التبادل الثقافي إحدى القوى المحركة الرئيسية للتقدم البشري، ولكي يستمر التقدم يجب على البشر أن يتعلم بعضهم من بعض، لقد أصبحت دراسة التبادل الثقافي إحدى البؤر الساخنة للبحوث الأكاديمية في السنوات الأخيرة. إن الصداقة بين الصين والدول العربية لها تاريخ طويل، لطالما ربط طريق الحرير القديم بين الصين والدول العربية، ولم يقتصر الأمر على تعزيز التبادل التجاري والأفراد، بل امتد إلى تعزيز التبادلات الثقافية والأدبية. لقد أنشأ منتدى التعاون الصيني منذ أكثر من عشر سنوات، العديد من آليات التعاون، ففي العام 2018م عززت الصين آلية التعاون بين الكتّاب الصينيين والعرب، ووقعت جمعية الكتّاب الصينيين واتحاد الكتّاب العرب على اتفاق القاهرة الذي جلب بموجبه مزيدًا من الإمكانيات والفرص الحيوية للأدب، ومن المؤمل أن تعمق التبادلات العاطفية والتواصل الروحي بين الشعبين الصيني والعربي من خلال الأدب. (ليانغ، 2015، ص5).

المبحث الأول: نظرة كل من الأديبين (باجين) و(نجيب محفوظ) للموروث

تأثر (باجين) بحركة الرابع من مايو عام 1919م التي اندلعت في بكين، وكانت آراؤه وأفكاره مستمدة من الإرث الاجتماعي القديم النابع من أحكام (كونفوشيوس)، والقائم على طغيان سلطة العشيرة البطريركية (الأبوية) وسط سطوة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الصينية ذات الانضباط الفلسفي القديم، على الوحي الديني، فالأدب والدين والفلسفة والحكمة كانت تجتمع جميعًا في سياق واحد، يتوجه نحو هدف واحد أيضًا هو البحث عن المعرفة.

والحقيقة أن تلك الحركة أتاحت لكتّاب هذا الجيل الذين تأثروا بفلسفتها ومبادرتها وأفكارها أن يتميزوا ويبدعوا أدبًا، وانعكست أفكارها ورؤاها الجديدة على أعمالهم في شتى المجالات، كما قامت هذه الحركة في ثورتها الثقافية بإفناء الثقافة الصينية الكلاسيكية القديمة، تمامًا كما تسببت في انتحار العديد من الأدباء أمثال (لا وشى) و(فو لاي) وغيرهم، كما أنها أقامت وهيأت مدارس كمستعمرات لإعادة التأهيل والتربية الجديدة لمواكبة ما كانت تنادي به الثورة من أفكار جديدة.

لقد أدخلت هذه المعسكرات (المدارس) عددًا كبيرًا من المبدعين والكتّاب والأدباء، وقد أقام (باجين) فترة في هذه المعسكرات، وكانت له تجربته الإبداعية الخاصة، حاول فيها أن ينسجم مع الوضع الجديد، على أن هناك بعض الأدباء أمثال: (لو شين) و(وهو زيكنغ) يقولون: إن مظاهر الحداثة والبعث القومي كانت متحدة اتحادًا تامًا منذ بدء تكوين الأدب الصيني الحديث، بحيث غدت السمة المميزة لهذا الأدب متمثلة في لقاء مع الاتجاهات الأيدولوجية العالمية دون رفض للتراث الوطني.

كما يشير هؤلاء الكتّاب أيضًا إلى أنه "من الخطأ القول بأن ثورة الرابع من مايو الثقافية والأدب الصيني التي جاءت به قد تخلّيا عن التقاليد الكلاسيكية، كما أنه من الخطأ أيضًا إنكار الصلة الوثيقة بين الأدب الصيني الحديث والأدب الصيني القديم الكلاسيكي بحجة أن الأول تأثر كثيرًا بالآداب الأجنبية (سليمان، 1994، ص27).

ورغم ما قيل عن هذه الثورة من آراء، ورغم التأييد الذي منحه (باجين) لثورة (ماو)، بعد استيلاء الشيوعيين على السلطة عام 1949م؛ لم يسلم من هجمات وإذلال الحرس الأحمر المتطرف اليساري خلال الفوضى الثقافية عام 1966-1976م، وفقد زوجته (شياو شان) عام 1972م وتعرض للتعذيب والمحاكمة أكثر من مرة خلال تلك الفترة.

أما (نجيب محفوظ) فقد وظف التراث على نحو مختلف عن (باجين) الذي تمثل مبادئ الثورة الجديدة وأفكارها، فحاول الانسلاخ عن التراث الصيني الكلاسيكي وتبجيل كل ما هو حديث، فنجد (نجيب محفوظ) يرتكز على التراث بمرتكزاته الأربعة: الدينية، والشعبية، والتاريخية، والأدبية في رواياته، فقد حاول استبصار التراث وتحولاته في رواياته كما حاول استقصاء ذلك بطرحه الكلي الذي يصهر الشكل بالمضمون على شروط أبنية الفن الروائي، شخوصًا وأحداثًا ومكانةً ولغةً وشكلًا، ومن ثم تقفز إلى الصدارة الجدلية الساخنة بين القيم التراثية التي تركت علامتها واضحة في نصّ كتاباته، لا على سبيل المحاكمة التراثية المنفصلة، ولكن على أساس ضابط منهجي يتفهم بامتياز كنه الأدب وتقاليده.

والحقيقة أن التراث والمعاصرة يتحركان في أعمال (نجيب محفوظ)، إذ يمكننا الإحساس بالتراث والمعاصرة يتناقشان ويتحاوران في الخلافات بينهما، وفي التوافقات، ونجد ذلك حاضرًا حيث نطالع مسرحياته وخاصة (يُميت ويُحيي، والتّركة، والمهمة)، فقد اقتربت من موضوع التراث والمعاصرة على نحو

كبير وضربت على فكرة العلاقة بالتاريخ برمزية واعية لمناقشة الفكرة حتى أنك تجد الشخصيات في المسرحيات الثلاث رموز للفكرة، لن تجد سوى فتىً وفتاة أو شابًا وبعض الشخصيات الأخرى التي بلا اسم.. طبيب، رجل، مما يجعل مجال تأوّل الشخصيات أقرب، لكونها تعدّ رموزًا لأفكار وآراء محفوظ، يطرحها ويعبّر عنها، وبذلك كانت هذه المسرحيات الثلاث أقرب إلى طرح قضايا عامة من شخصيات لها أعماقها النفسية والاجتماعية، ونجد أن فكرة التراث والمعاصرة سيطرت على قلب المسرحيات، إذ نجد أن الفصل واضح بين التراث والمعاصرة منذ بداية المسرحية.

والحقيقة "أن تراثه المسرحي يتركك حائرًا، لكنك تستطيع استخلاص هذه العلاقة الشائكة بين التراث والمعاصرة، فالمعاصرة لا يمكنها أن تعتمد اعتمادًا كليًّا على التراث؛ لأن التراث لن يستطيع حمل المعاصرة بكل متطلباتها، والمعاصرة لا يمكنها أن تستدعي كليّة التراث، فمن دون التراث ستسير المعاصرة في حالة مرض" (شعلان، 6).

والخلاصة التي سعت إليها المسرحيات أنه لا غنى للمعاصرة عن التراث الروحي والتراث الإنساني. وليعيش الإنسان وقته الحاضر في سلام روحي لا بد من التجانس والانسجام مع استلهام التراث لنفع الحاضر.

وكشفت دراسة أجراها عالم الآثار المصري الدكتور (حجاجي إبراهيم) عن مفردات الآثار والتراث وأثرها في أدب محفوظ؛ كشفت عن تأثير قاهرة المعز، بقصورها، وبيوتها، وحواريها، وأزقتها، ومشاهدها كالمشهد الحسيني، على أدب محفوظ، كما تأثر بحيّ العباسية الذي عاش فيه شبابه، وحيّ العجوزة والنيل بعد زواجه، كما تأثر بـ(حرافيش بولاق) وقنواتها، و(وكالة البلح)، وحملت رواياته أسماء لمواقع تاريخية مثل: الكرنك، والحب فوق هضبة الهرم، وزقاق المدق، وميرامار، وثرثرة فوق النيل، كما ظهرت مواقع ومدن مصرية قديمة في روايات محفوظ، ألبسها ثوبًا جديدًا فظهرت طيبة في كفاح طيبة، وآثار إسلامية في رواية وكالة البلح، والقصور في قصر الشوق، وبين القصرين، والقباب في رواية (أفراح القبة) متأثرًا بقصر القبة والمشهد الحسيني.

كما أن ثلاثيته (السكرية، بين القصرين، قصر الشوق) تدور أحداثها في مصر القديمة، حيث استلهمت التراث الفرعوني في نوع من الإسقاط التاريخي على المرحلة السياسية التي سادت مصر في تلك الفترة (محفوظ، 1939، ص7).

وقد بدأ اهتمام (نجيب محفوظ) بالتراث الفرعوني في مرحلة دراسته الجامعية، حيث ترجم كتاب (مصر القديمة) للمؤلف (جيمس بيكي)، كما تأثر بالروائي الأسكتلندي (والتر سكوت) صاحب رواية (إيفانهو)، الذي تناول التاريخ الإنجليزي في رواياته (محفوظ، 1985، ص5).

إذن، وظّف محفوظ التراث بجميع مرتكزاته في رواياته.

المبحث الثاني: دراسة مقارنة بين ثلاثية (نجيب محفوظ) وثلاثية (باجين)

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الروابط والعلاقة بين الرواية العربية والرواية الصينية، وإلى إظهار فنّ الرواية في ثلاثية كل منهما، حول العادات والتقاليد الثقافية وغيرها، وكيف تناول كل منهما الحياة والمجتمع، وبخاصة الحياة الأسرية، مع التشابه والاختلاف بينهما، لاختلاف المجتمعين حول هذه القضايا، وخاصة العادات والثقافة.

وسأتحدث بداية عن أهم الأمور التي تناولها (نجيب محفوظ) في ثلاثيته، فرواية محفوظ الشهيرة الثلاثية (بين القصرين وقصر الشوق والسكرية) تناولت سقوط مجتمع ما قبل الثورة، "وتعتبر هذه الرواية سيرة ثلاثة أجيال من عائلة واحدة: جيل ما قبل الثورة 1919م وجيل الثورة والجيل التالي لها، وانتهى من كتابتها عام 1952م، ونشرت عام 1956م. (محمد، 2002، ص4).

وهذه الأجيال الثلاثة هي أجيال واقعية، تمثل الواقعية الثقافية والاجتماعية، وصارت نموذجًا يحتذى به عند الطغاة والسياسيين والآباء والمعلمين في الحارة والمجتمع.

إن ثلاثية (نجيب محفوظ) عمل أدبي عظيم في العصر الحديث، فقد أبدع في تصوير هذه الأجيال الثلاثة، فتمثّل الصورة الحقيقية لهم، ولأفكارهم، ومواقفهم من العدل، والمرأة، والقضايا الاجتماعية بطريقة إبداعية، فروايته تاريخ عن قضايا مجتمعه.

"لقد استطاع (نجيب محفوظ) أن يصف حياة أجيال بأكملها، ويحيي بكلماته شخصيات وأحداثًا وأزمنة، وأمكنة تعكس واقع بيئة، كما تترصد الرواية من سلوكات المجتمع المصري والمجتمع العربي" (محمد، 2002، ص6).

كان (نجيب محفوظ) يقول: "أنا أعيش في نفس الوقت الذي أعايش فيه الناس، ولا أكتبها، وإنما أكتبها عن الناس" (محفوظ، 2006، ص11)، فثلاثيته هي رواية الأجيال أو رواية الزمان التي تعرض أجيالًا عربية متوالية.

قال نجيب محفوظ: الثلاثية هي تاريخ رب الأسرة السيد أحمد عبد الجواد وأسرته عبر ثلاثة أجيال. وتمدّنا بمقدار هائل من التفاصيل السياسية والاجتماعية، وتعدُّ الثلاثية أيضًا حكاية بحث كمال الابن الأصغر لعبد الجواد عن الخلاص (الراعي، 1964، ص63). وقال أيضًا: "في الثلاثية، كما قلت، جزء كبير من نفسي، يتمثل في شخصية كمال عبد الجواد، وكمال لم يدخل إلى الرواية اعتباطًا، وليس لأنه جزء منّي، ولكنه ظهر في هذه الصورة لأنه جزء لا يتجزأ من الرواية" (سعيد، 2006، ص89).

وقال د. علي الراعي: "إن فن الرواية في بلادنا قد دخل مرحلة التأليف الكبير على يد (نجيب محفوظ)، وإن اليوم الذي يقف فيه المؤلف الروائي العربي على قدم المساواة مع المعلمين الكبار في هذا الفن لم يعد بعيدًا، وإن لم يكن قد حلّ فعلًا بظهور الثلاثية للناس". (محفوظ، 1998، ص64).

وقد لخص د. علي الراعي بعض النقاط المهمة في ثلاثية (نجيب محفوظ):

أولًا: الهدف الفني الكبير الذي رمى إليه المؤلف وراء روايته، هو هدف طويل وعريض وعظيم، إنه أراد إحياء دنيا كاملة من الناس، بأفكارها، وآرائها، وإحساساتها، ومميزاتها، ومغامراتها ونواقصها، وأراد إنقاذ حياة كاملة من براثن العدم، وتجليدها إلى الأبد على ذلك الشريط السحري الباعث للحياة الذي نسميه بالعمل الفني.

ثانيًا: رسم الشخصيات بطريقة علمية موضوعية، توازن تمامًا بين الداخلي والخارجي للشخصية الواحدة في حياتها.

ثالثًا: عني بالشخصيات الداخلية والخارجية، وتعدد أنواعها، وتفرد كل منها بميزات واضحة محددة تميزها عن باقي الشخصيات. نجح الكاتب في أن يخلق كل واحدة منها على حدة، ومنها وظيفة محضة تؤدي بداياته بطريقة طبيعية منطقية إلى نهاياته.

رابعًا: بناء القصة التي تكمن وراء الرواية بطريقة هندسية وظيفية محضة، فكل ما يذكر في الرواية من أفكار وآراء وعادات وملامح للشخصيات يؤدي وظيفة خاصة به، وهذه الوظائف الصغيرة مهندسة كلها، بحيث تخدم الهدف العام للرواية، وفي نفس الوقت تؤدي فيها وظيفتها العادية بالنسبة إلى الحادثة أو المناسبة.

سادسًا: الدهاء الكبير الذي يستخدم فيه المؤلف هذه التفاصيل ليخدم قصته ويبرر مفاجآتها ويخفف من حدة منحنياتها.

وبشأن أهم ما تلخصه الثلاثية من قضايا أستطيع القول: إن الثلاثية تحكي وقائع الثورة بالتفصيل، فتصور مصر بلدًا جديدًا، خلقته الثورة، كما أظهرت الثلاثية اهتمام السيد الجبار الذي تعيش في داخله تناقضات مجتمعة بالأخبار السياسية، فهو يعد نفسه وطنيًّا، كما صورت الثلاثية الأوضاع الاجتماعية المتأثرة بالوضع السياسي، والاقتصادي، بسبب الحرب العالمية الأولى، وقد أوضحت ذلك الرواية منذ بدايتها، فقد اشتكى أحمد عبد الجواد من سوء الوضع من أمنٍ واعتداءِ الأعداء على الناس في الشوارع وسلبهم حاجاتهم، الأمر الذي منعه من السهر في الأزبكية، وكذلك الحال بالنسبة لابنه ياسين، وعندما وضعت الحرب أوزارها لم يعد لفرض الحماية على مصر من مبرر، وظهر سعد زغلول مطالبًا بالاستقلال ورفع الحماية، وقد برزت الاشتراكية في الجزء الثالث من ثلاثية (السكرية)، فهو أراد أن يعرّفنا أن الاتجاه الشيوعي في فترة ما بين الحربين الأولى والثانية لم يكن مقتصرًا على الرجال، فهناك كثير من النساء اللاتي تشبعن بهذه الأفكار أمثال: سوسن رشيد (مفقودة، 2011، ص5).

ثلاثية (باجين):

كتب باجين ثلاثيته التي تشبه إلى حد ما ثلاثية (نجيب محفوظ)، أسماها التيار الجارف: (العائلة، الربيع، الخريف)، صور فيها المجتمع الإقطاعي الصيني، وعبّر عن الحرية والديموقراطية، وقد أخذت هذه الثلاثية موقعًا مهمًّا في تاريخ الأدب الصيني الحديث.

وقد رصد باجين في ثلاثيته تحولات المجتمع الصيني في فترة مبكرة، وكان لها الدور المهم في دفع الشباب المثقفين نحو ثورة الرابع من مايو 1919م، فكانت ثورة على الإقطاعية الغاشمة التي تتضمن القمع والقهر وغياب العدالة. فهذه الثلاثية تعدُّ ثورة على الموروث الإقطاعي المتمثل في الجد.

يقول باجين: "كتبت الثلاثية قبل ست وأربعين سنة، ومنذ ذلك الحين، وعلى فترات متباينة، كتبت عنها مقدمات وخواتيم ومقالات عارضةً فيها وجهات نظري، وكان معظمها وصفًا لكيفية إقدامي على كتابتها وعرضًا لما كانت عليه أفكاري وعواطفي حينذاك، ونادرًا ما تعرضت فيما كتبت على نقاط الضعف في هذه الثلاثية، لقد بقيت كاتبًا مدة عشرين عامًا في الصين شبه الإقطاعية وشبه المستعمرة، وكتبت ملايين المقاطع الصينية، لقد استطعت رؤية مساوئ المجتمع القديم ولكني عجزت عن وصف العلاج الشافي، فإن رواياتي التي كانت تعجّ بالتفجّع والأنين، وشخصياتي التي كانت تسير في عجز وبؤس نحو مصارعها، قد ألقت على قلوب قرائي حجابًا كثيفًا من ليل بارد طويل" (باجين، 2008، ص6).

فقد عبّر عن انهيار الأسرة الإقطاعية وزوال هيمنتها، التي قضت على روح الشباب، فقد صوّر الإقطاعية بالأب والشاب، والثائر عليها بالابن وهو الابن الذي يسعى إلى تغيير الحياة القديمة. قال باجين بعد نشر ثلاثيته: "لم أكف يومًا عن محاربة أعدائي بقلمي، فماذا عساها أن تكون تلك الأعداء؟".

إنها تحيّزات تراث مختلف، إنها كل هذه النظريات غير المعقولة التي تعوق تفتح الإنسان وتقدم المجتمع، إنها جميع القوى التي تقوّض الحب، تلك هي أعدائي! ولقد بقيت منذ ذلك اليوم على موقفي هذا، أرفض أي تراجع وأي حل وسط. (باجين، 2008، ص15).

وقال الكاتب سون قوه خون: "أشعر بأن ثلاثية باجين تعرض تمامًا الحياة الفاسدة الإقطاعية، ويتعاطف مع الآلام أجيال الشباب، كما يطالبهم بالخروج للمقاومة والتمرد، كما عرضت الصورة المظلمة للمجتمع في ذلك العصر". (باجين، 2008، ص16).

صورت ثلاثيته مأساة ومعاناة الشباب وكشفت عن أسباب هذه المعاناة، فهي تتصف بالواقعية وقوة تأثيرها، "كما صوّرت هذه الرواية تصويرًا دقيقًا سيطرة القوة المستبدة على الأسرة المتعطشة إلى الديمقراطية في ظل استبداد رب الأسرة الإقطاعي، صيحات تمثل صوت عامة أبناء الشعب في الصين القديمة (محمد، 2020، ص11)، لقد كان لواقعية هذه الرواية الأثر البالغ في نفوس كثير من القراء.

عكست الرواية قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية، وهذه القضايا موجودة في كل المجتمعات، فأي مجتمع عندما يحاول الحصول على حريته

والحفاظ على هويته فإنه يواجه تحديات كثيرة لا بد من مواجهتها، والأديب لا بد له أن يستجيب لهذه التحديات وأن يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى تحقيق أهداف مجتمعه، وهذه من صفات الأديب الحقيقي الذي دائمًا يدافع بقلمه عن القيم العليا النبيلة للمجتمع.

يقول د. عز الدين إسماعيل: "إننا يجب أن نعي موقف الأديب من مجتمعه، فالأديب بلا شك له شخصيته وسماته الخاصة، ولكن هذه الشخصية لا يمكن أن تحقّق بعيدًا عن المجموع، وموهبته الإبداعية إذا لم يكن تأثيرها على المجموع تصبح بلا قيمة، فقيمة الأدب هي نفسها القيمة الاجتماعية والإنسانية (باجين، 1984، ص4).

ويقول توفيق الحكيم في كتابه (فن الأدب): "إن الأديب الحقيقي هو وليد البيئة والعصر الذي يعيش فيه، وإلا صار الأدب شيئًا بعيدًا تمامًا عن العصر وعن حياة البشرية، ليس هناك كاتب أو أديب يمكنه أن يتجاهل ما يدور حوله من أحداث عامة، فهذه الأحداث تؤثر على وجوده وفي روحه، وإذا لم يستمع الأديب إلى الأصوات التي تؤدي من حوله فإنه يخون رسالة العلم، فليس على الأديب فقط الاستجابة لهذه الأصوات والنداءات بل يجب عليه أن يضيف قوة من روحه وأفكاره تساعد المجتمع الذي يعيش فيه على أن يتلمس طريقه نحو الحرية التي هي حلمه الأبدي" (إسماعيل، 2014، ص11).

ونخلص من دراسة هاتين الثلاثيتين إلى أن باجين ومحفوظ قد عبّرا عن هموم مجتمعهما وهموم قومهما، كما صّورا التاريخ وحركات التحرير نحو الاستقلال، كما تحملا نقل معاناة مجتمعهما بقلمهما للوصول إلى العدل، كما جسّد كل منهما في كتاباته حبّ وطنه، والسعي إلى تخليصه، من أوجه الاستبداد والاستعمار المختلفة الأشكال والألوان، كما أن الشخصيات في ثلاثية باجين ومحفوظ تعكس حبّ الوطن وإحياء الأمة، فكل من الأديبين عايش أحداثًا مهمة تشابهت في ما بينها، فقد صوّر كل منهما ما رآه في مجتمعه ووطنه، وشاهد وعاين التحول الاجتماعي في مجتمعه، كما أن باجين ومحفوظ قاما بتصوير الحياة الأسرية، فكلاهما صوّر حياة الأسرة الشرقية التي تعيش مع الوالدين تحت سلطة الأب الصارم، كما صوّر الأديبان الاستبداد وجرائمه، فنشأت الكراهية عندهم لهذه النظم الاستبدادية، وكان الدافع لها حب كل منهما لوطنه، ونلاحظ أيضًا أن كليهما قد ورث التقاليد القديمة الأصلية لروايات العرب والصين في فنّ اللغة، فاللغة عندهما بسيطة، وسلسة، ومتسلسلة، يسهل فهمها، فقد استطاع كل منهما نقل أفكاره إلى القارئ بوضوح.

ويبدو أن هناك تشابهًا كبيرًا في جوانب عديدة: الجد (قاو) في الأسرة لا يسمح بأي رأي أو عمل يخالفه، وكذلك (الأب عبد الجواد)، كلاهما يمسك بزمام السلطة في أسرته واقتصادها، فجميع أفراد الأسرة يسمعون كلامه ويطيعونه ويخافون منه، وهناك وصف دقيق حي لذلك على موائد الطعام أو في المناسبات الأخرى في كل من (الأسرة) و(بين القصرين)، وفي الوقت الذي يأخذ فيه الجد قاو أفراد أسرته بالشّد، يأتي في خارج الأسرة بأفعال فاحشة منها معاشرة العاهرات، وكذلك (الأب عبد الجواد) الذي يبدو جادًّا شديدًا في البيت ونراه يتعامل مع أصدقائه خارج الأسرة بكل مودة، أما بالنسبة لدراسة الأولاد فنرى الجد قاو يرى وجوب قراءة الكتب، الكونفوشيوسية، والأشعار القديمة، ويخاف من أن تؤدي المدرسة الحديثة وجمعية الطلبة إلى اندفاع الشبان إلى مقاومة المجتمع القديم ومبادئ الأخلاق الإقطاعية، وكذلك الأب عبد الجواد الذي أراد التخصص الدراسي لابنه وعارض مشاركته في مظاهرات الطلبة.

أما بالنسبة لزواج الأولاد فكل من الجد (قاو) والأب عبد الجواد يرى أن يكون الزواج وفقًا لإرادة رب الأسرة الذي يحدد كل شيء في زواج الأبناء، مضحيًا في ذلك بحبهم، كما أشار باجين إلى أن الجد (قاو) كان يمثل الطبقة الحاكمة الصينية في ذلك الوقت، التي تعمل بكل قوة لمنع تقدم الدولة، وموته يرمز إلى حتمية هلاك المجتمع الإقطاعي الصيني، وكذلك الأب عبد الجواد، فهو يمثل الجيل المصري القديم الذي يكره الأفكار الحديثة، ويلعب دور الحارس للإقطاع، وأخيرًا تزعزعت هيبته في البيت، ورأى انحلال أسرته قبل وفاته.

وهناك تشابه كبير في وصف الجيل الجديد في رواية (الأسرة)، ورواية (بين القصرين) من خلال استعراض حياة الحفيد الأكبر لقاو (جيوي شين) في الأسرة الصينية، والابن البكر (ياسين) في الأسرة العربية.

(جيوي شين) بطل رواية (الأسرة) شاب وسيم وذكي، وكان متفوقًا في الدراسة الثانوية، ومتطلعًا إلى مستقبل جميل، لكن أسرته كسرت أحلامه الجميلة، فكانت وفاة والدته ضربة شديدة له في طفولته، وبعد أن كبر ذاق أنواعًا شتى من المرارة، وأصبح مسؤولًا عن الشؤون المالية، وأمور الزواج، والجنازة واستقبال الضيوف في أسرته، فكان يلتزم بالأعراف والتقاليد الإقطاعية الرسمية، فضاع منه وعي المقاومة تدريجيًّا، وفي رواية (بين القصرين) هناك شخص يشبه (جيوي شين)، وهو (ياسين) الشاب القوي، الذي يمتلك كل ميزات الرجل، ولكنه لم ينجُ من حظه السيّئ، حيث توفيت والدته في طفولته، فأصبح جبانًا خاضعًا لسيطرة الآخرين، كما أن الطلاق بين والديه أوقعه في التشاؤم، فحقد على المجتمع والنساء حوله، ثم فيما بعد أغرم بالنساء، ولكنه جبان لا يتعامل مع المجتمع مباشرة، بل يتعامل مع بعض النساء المنحرفات ليريح قلبه، كان (ياسين) يحب الدراسة ولكن والده قال له بأنه سيزوجه، وهو ما كسر حلمه في الدراسة، وغير حياته.

لقد اختار أولياء الأمور في المجتمع الإقطاعي (جيوي شين) ليكون وريثًا مباشرًا لتقاليدهم الإقطاعية، لذلك كان (شين) لا يستخدم عقله ولا يجرؤ على استخدامه.

ماتت زوجته وتركت له ابنًا، وهكذا فقد حبيبته وزوجته فضاع منه أمله في الحياة، وأصبح التشاؤم وكراهية الدنيا من خصائص شخصيته.

الحال نفسُه عند (ياسين)، فقد تم الطلاق بينه وبين زوجته الحامل، ففقد بذلك الزوجة والابن؛ الأمر الذي سبب له صدمة شديدة، فيئس من الحياة.

(جيوي شين) جبان ليس له إرادة خاصة، بل يقبل كل شيء، ويؤمن بنظريات جديدة، ولكنه عاش متلائمًا مع ظروف الحياة القديمة، ولم يجد أي تناقض بينهما، فكان يواسي نفسه بروح (آكيو) ليخفف بذلك الأزمات التي يواجهها، لقد ترك الآخرين غاضبين عليه، وسلم روحه وحريته لهم. في البداية لم يكن الشاب (جيوي شين) راضيًا عما حوله فكان يقاوم، ولكنه تعب من المقاومة التي لا تحقق أية نتيجة له، فقبل بترتيبات ظروف الحياة، وظهرت شخصية (جيوي شين) في تاريخ الاستبدادية الإقطاعية، من هنا دعا كاتب الأسرة إلى المقاومة لاعتقاده أن الخضوع يعني الهلاك، فلا بد من النضال بكل حزم وشجاعة في سبيل تحقيق الانتصار، ولكن (جيوي شين) فشل في ذلك، لم يطرح (جيوي شين) أية فكرة سيئة لكن القيادة العمياء لأولياء الأمور أدت إلى هذه النتيجة السيئة، لقد أثبت الكاتب جرائم الاستبداد، بواسطة (جيوي شين).

كذلك (ياسين) في رواية (بين القصرين)، لم يرضَ عن أسرته والمجتمع ولكنه لم يجرؤ على التعبير عن ذلك علنًا، بعد أن كشف أنّ والده يرتاد دار البغاء، فأصبح دائم التشاؤم أمام الناس والمجتمع وتساهل مع نفسه. لم يكن (ياسين) يحب تذكّر الماضي ومآسيه، كان الماضي بالنسبة له يمثّل المرارة والحزن، لقد أصبح مهملًا يشرب الخمر بينما المظاهرات ضد المستعمر تجوب شوارع بلاده، لقد منع نفسه وإخوته من المشاركة في هذه المظاهرات، تمامًا كما كان يفعل والده.

لقد عاش (جيوي شين) و(ياسين)، شخصية متناقضة ومزدوجة، فكان على كل منهما أن يطيع ولي أمره، ويستسلم لرغبات الآخرين، وينفذ طلباتهم.

أما حفيد قاو الثاني (جيوي هوي)، وحفيد عبد الجواد (فهمي) فقد كانا ثائرين على العادات والتقاليد، فتحدوها، هم شباب متمردون، تحدوا النظام وما رتبه لهم آباؤهم ليسلكوا طريقهم ويعلنوا الحرب على النظام القديم، فـ(فهمي) في رواية (بين القصرين) كان يجرؤ على إعلان الحرب ضد استبداد والده فراح يناضل المستعمر البريطاني، وعزم على التضحية بنفسه في سبيل وطنه، لقد كان أكثر عزمًا من (جيوي شين) و(ياسين) فلم يتأثر بأوامر والده، بل واصل نضاله حتى ضحى بحياته من أجل وطنه.

(جيوي هوي) و(فهمي) شابان رائعان لهما إرادة قوية ويفهمان مسؤولياتهما القومية، فقد كان كل منهما قدوة للشباب، كل في بلده.

إن القيادات القديمة قتلت حب (هوي) وكانت معارضته غير حازمة تمامًا في مسألة الحب، ولكنه آمن بعبارة: أنا شاب ولست غبيًّا، وعلي أن أحقق سعادتي بنفسي. لذلك نسي مأساته السابقة سريعًا، وبدأ حياة جديدة بحيوية جديدة، ونفس الحالة عند (فهمي)، أحب الفتاة (مريم) ولكنه لم يكن جريئًا تمامًا، ولم يتخلص من قيود العادات القديمة، كان يتشوق إلى أن يراها كل يوم، ولكنه عندما رآها تردد وفكر، لم يتخلص من قيود الإقطاعية بعد، لم يجرؤ أن يتحدث مع والده عن حبه، بل طلب من والدته أن تنقل هذا الخبر إلى والده، لكن والدته رفضت ذلك، هكذا أنكر حبّه، ولكن هذا الأمر، تحوّل إلى قوة تدفعه إلى الاشتراك في الحركات الوطنية، فضحى بحياته في سبيل تحرير الوطن والشعب، فكلاهما (هوي وفهمي) دفن حبّه بسبب العادات والتقاليد القديمة، لكن كليهما عقد عزيمته على مقاومة النظام الإقطاعي بسبب فشله في الحب.

أما الحفيد الثاني للجد قاو -اسمه (جيوي مين)- فقد كان تقدميًّا مقاومًا، لقد سلك طريق المقاومة من أجل الحب، وحقق رغبته في ذلك، لقد كان ثائرًا متأثرًا بحركة الرابع من مايو الجديدة، ولكنه كان مهتمًّا أيضًا بأموره الخاصة، أكثر من اهتمامه بالمجتمع كما كان الحال عند (جيوي هوي)، فقد وضع (مين) الحب في المقام الأول، وبدأ يسلك طريق المقاومة عندما أجبره جدّه على الزواج من فتاة لا يحبها، كانت مقاومته قوية وحازمة، تتمثل في هجره للأسرة، وبذلك اختار طريقه، وحصل على حبّه وأصبح سيد نفسه، فقد تطورت مقاومته في روايتي (الربيع، والخريف)، حتى أصبح بطلًا يقاوم الإقطاعية والعادات القديمة.

أما (كمال) فهو أيضًا الحفيد الثاني لعبد الجواد، في رواية (بين القصرين) فهو يشبه إلى حد كبير (جيوي مين)، لقد كان يضع الحب في المقام الأول أيضًا، فقد كان رومانسيًّا، أحب أخت زميله مخالفًا بذلك اختيار والده له، تمامًا، كما فعل (مين)، لقد تلاشى الفكر القديم عنده، لكن الأفكار الجديدة لم تنشأ بعد، فقد فهم أن النضال الذي يقوم به الجيل الجديد هو نضال سامٍ في سبيل اللّحاق بخطى تقدم البشرية.

الخاتمة

بينت الدراسة (بين الرواية الصينية والرواية العربية)، أن أدبهما كان انعكاسًا للمجتمع المعيشي الصيني، والعربي المصري، كما كشفت الروايات عن قدرة كل منهما على دقّة التصوير، وتطويع اللغة لخدمة هدفه، ونقل أفكاره، فكانت اللغة عندهما بسيطة متسلسلة تصل إلى القارئ بكل سهولة ناقلة ما يريد أن يعبر عنه كل منهما من أفكار.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن كلًّا منهما صوّر مجتمعه تصويرًا دقيقًا.
- تناول كل منهما في رواياته هموم المجتمع وقضاياه.

- بيّن كل منهما خصوصيات المجتمع الذي يعيش فيه من تقاليد وقيم اجتماعية.
- ظهرت في ثلاثية محفوظ وباجين أنواع مختلفة ومتعددة من الفنون على المستوى الأدبي والسياسي والاجتماعي.

إن التغيرات التي شهدتها أسرة (قاو) وأسرة (عبد الجواد) والتشابه في شخصية الرجال ليست مصادفة تاريخية، فبالرغم من المسافة البعيدة بين القاهرة ومدينة تشينغدو التي يقع فيها بيت قاو؛ هناك تشابه فني وأدبي واجتماعي: نفس الاستبداد الأسري، ونفس مأساة الأسرة، ونفس مشاكل النساء، إضافة إلى العلاقات بين الوالدين وبين الأبناء والوالدين، ومشاكل الحب والزواج، والمشاكل الأخرى.

فالروايات التي كتبها (نجيب محفوظ) قريبة من روايات (باجين)، في الوقائع والعادات، وإذا غيّرنا بعض أسماء الأماكن والأشخاص يصعب علينا أن نميز أحدهما عن الآخر، فمن خلال رواية الأسرة ورواية بين القصرين، يمكن أن نعرف عصر الروايتين. لقد شهدت مصر والصين في العشرينيات تغيّرات مهمة، فكانت الحركات الوطنية ضد الإقطاع والاستعمار.

لقد فشل أولياء الأمور في أسرة (قاو) وفي أسرة (عبد الجواد) مرة بعد مرة، تحت مقاومة الجيل الثاني والثالث، فتخلص الجيل الجديد من سيطرتهم، وحصلوا على الحرية. وتركت رواية الأسرة ورواية بين القصرين انطباعًا عميقًا، حيث كانت هاتان الأسرتان صورتين مصغرتين للأمة المصرية والأمة الصينية، تخلد هاتان الروايتان مع الشعبين، كما سيذكر أبناء الشعبين المصري والصيني (باجين) و(نجيب محفوظ) دائمًا.

المصادر والمراجع

إسماعيل، ع. (2004). *الأدب وفنونه*. (ط9). القاهرة: دار الفكر العربي.

باجين. (1982). *خمسون عامًا من الاشتغال بالأدب*. رسالة اليونسكو، (259).

باجين. (1984). *الأسرة*. (ط1). بكين: دار النشر باللغات الأجنبية.

باجين. (2008). *باجين ومذكراته*. (ط1). دار مكتبة شايغ هاي.

بياري، م. (1998). *الموسوعة العربية*. هيئة الموسوعة العربية.

الراعي، ع. (1964). *دراسات في الرواية المصرية*. عمان: المؤسسة العامة للطبع والنشر.

سعيد، إ. (2006). قصوة الذاكرة. *مجلة العربي*، (577).

سليمان، س. (1994). *توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ. رسالة ماجستير غير منشورة*، جامعة المنوفية، المنوفية، مصر.

الشاذلي، ع. (2009). *شخصية المثقف في الرواية الحديثة في مصر*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتّاب.

شعلان، ع. (د. ت). رمز التراث والمعاصرة في مسرح نجيب محفوظ. *المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب*، (76).

صالح، م. (2011). الحركة الاجتماعية والتطور السياسي في ثلاثية نجيب محفوظ من الوعي الممكن. *كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة*.

العشماوي، ف. (2005). *المرأة في أدب نجيب محفوظ*. مصر: مكتبة الأسرة.

ليانغ، م. (2002). *آفاق الحضارة الإسلامية والحضارة العربية*. شنغهاي: دار النشر الشعبية.

مبارك، ع. (1966). *حوار مع نجيب محفوظ*. القاهرة: جريدة الجمهورية.

محفوظ، ن. (1939). *عبث الأقدار*. بيروت: دار الشروق للنشر.

محفوظ، ن. (1943). *رادوبيس*. بيروت: دار الشروق للنشر.

محفوظ، ن. (1998). *صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته*. القاهرة: مركز الأهرام للنشر.

محفوظ، ن. (2006). *أتحدث إليكم*. بيروت: دار العودة للنشر.

بن محمد، ع. (2020). موازنة بين ثلاثية باجين وثلاثية نجيب محفوظ. *مجلة إربد للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 2(4).

وادي، ط. (1998). *صورة المرأة في الرواية المعاصرة*. مصر: دار المعارف.

يونس، م. (2006). حوار حول الثقافة والأدب والسياسة في الصين. *مجلة الحوار المتمدن*، (11).

References

Ismail, A. (2004). *Literature and its arts*. (9th ed.). Cairo: the House of Arab Thought.

Bajin. (1982). Fifty years of work in literature. *UNESCO letter*, (259).

Bajin. (1984). *The family*. (1st ed.). Beijing: Foreign Languages Publishing House.

Bajin. (2008). *Bagin and his memoirs*. (1st ed.). Shaig Hai library House.

Beary, M. (1998). *The Arabic encyclopedia*. Arabic encyclopedia authority.

The sponsor, P. (1964). *Studies in the Egyptian novel*. Oman: the General Organization for printing and publishing.

Saeed, E. (2006). Lack of memory. *Al-Arabi journal*, (577).

Solomon, S. (1994). *Employing heritage in Naguib Mahfouz's novels. Unpublished master thesis*, Menoufia University, Menoufia, Egypt.

Al-Shazli, P. (2009). *The character of the intellectual in the modern novel is set in Egypt*. Egypt: the Egyptian General Authority for writers.

Shaalan, P. (D. C). The symbol of heritage and modernity in the Naguib theater is preserved. National Council for Culture, Arts, and letters, (76).

Saleh, M. (2011). Social movement and political development in Naguib Mahfouz's trilogy of possible consciousness. *Faculty of Arts and languages, Mohammed Khudair University, Biskra*.

Al-Ashmawi, F. (2005). *Women in the literature of Najib Mahfouz*. Egypt: Family Library.

Liang, M. (2002). *Prospects of Islamic civilization and Arab civilization*. Shanghai: People's publishing house.

Mubarak, P. (1966). *A conversation with Naguib Mahfouz*. Cairo: El gomhoureya newspaper.

Mahfouz, N. (1939). *The futility of Destinies*. Beirut: Al-Shorouk publishing house.

Mahfouz, N. (1943). *Radopis*. Beirut: Al-Shorouk publishing house.

Mahfouz, N. (1998). *Pages from his memoirs and new highlights on his literature and life*. Cairo: Al-Ahram Publishing Center.

Mahfouz, N. (2006). *I'm talking to you*. Beirut: Dar al-Ouda publishing house.

Ben Mohammed, P. (2020). A balance between the Bajin trilogy and the Naguib Mahfouz trilogy. *Irbid Journal of Humanities and Social Sciences*, 2(4).

Wadi, I. (1998). *The image of a woman in the contemporary novel*. Egypt: House of knowledge.

Yunus, M. (2006). A dialogue on culture, literature and politics in China. Journal of civil dialogue, (11).